



اللاجئون الفلسطينيون في سوريا



بين سياسات وخطاب النظام والمعارضة

لاجئين

بوابة اللاجئين الفلسطينيين
Palestinian Refugees Portal

محتويات الدراسة

مقدمة

المبحث الأول : النظام السوري وموقفه من اللاجئين الفلسطينيين :

المبحث الثاني : المعارضة السورية وموقفها من اللاجئين الفلسطينيين :

المبحث الثالث : انعكاسات الصراع بين النظام والمعارضة على اللاجئين الفلسطينيين في سوريا

خاتمة

مقدمة

الجمهورية العربية السورية استقبلت خلال العامين 1947 و 1948 ما يقارب 90 ألف لاجئ فلسطيني، هُجروا من ديارهم الأصلية بفعل جرائم تطهير عرقي مُورست بحقهم من قبل العصابات الصهيونية الإسرائيلية المتحالفة مع الاستعمار البريطاني والرجعية العربية.

وتشير التقارير الرسمية إلى أن عددهم بلغ قبل الثورة السورية عام 2011 ما يزيد على 560 ألف لاجئ فلسطيني يتركز ما يقارب 67% منهم في المخيمات الفلسطينية الواقعة قرب العاصمة السورية دمشق، في حين يتوزع الـ 33% الباقون على المحافظات الأخرى، اللاذقية، حلب، حماه، حمص، درعا.¹

¹ - قطن أغلب هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين، في تجمعات أطلق عليها تسمية المخيمات، عددها اثنا عشر وأكبرها اليرموك، الذي ضمّ النسبة الأكبر منهم، رغم عدم اعتراف وكالة الغوث الدولية به كمخيم رسمي، فيما توزع الباقون على مخيمات جرمانا، سبينة، قبر الست، والحسينية، خان الشيخ، و خان دنون في ريف دمشق؛ بالإضافة إلى مخيمي النيرب وحندرات في حلب، ومخيم العائدين في حمص ومخيمي درعا ومخيم حماة ومخيم الرمل في اللاذقية بالإضافة لتجمعات أخرى مثل برزة والقابون وركن الدين ودمر والرمدان في الضمير ويافا في المزة.

لقد مكّنت القوانين والتشريعات السورية اللاجئين الفلسطينيين من المعيشة بشكل مساوي للمواطنين السوريين²، وفقاً للقانون 260³ الصادر عام 1956 وما سبقه من تأسيس المؤسسة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب في العام 1949، والتي عملت على "تنظيم شؤون اللاجئين الفلسطينيين العرب، ومعونتهم، وتأمين مختلف حاجاتهم، وإيجاد الأعمال المناسبة لهم"⁴، حيث أشير إليهم دوماً بعبارة: "من هم في حكم السوريين" ليعاملوا معاملة السوريين.⁵

مع انطلاق شرارة الثورة السورية في منتصف شهر آذار/ مارس عام 2011، انسحبت تأثيراتها على اللاجئين الفلسطينيين، لعوامل عدة

² - بالرغم من تمتع أغلبية اللاجئين بالحقوق المرسومة في القانون المذكور إلا أن عشرات الآلاف منهم بقوا بعيدين عن الاستفادة من نصوصه وذلك بسبب حصر تطبيقه على اللاجئين الذين وصلوا الأراضي السورية قبل تاريخ صدوره، وبالتالي، فقد قسّم هذا المرسوم الفلسطينيين إلى فئات حسب تاريخ وصولهم إلى البلاد، وعليه تم استثناء جميع اللاجئين الفلسطينيين الذين دخلوا البلاد بعد العام ألف وتسعمائة وستة وخمسين.

³ - صدر القانون 260 بتاريخ 07/10 / 1956، بموجب مرسوم جمهوري وسأوى بين الفلسطيني اللاجئ، والمواطن السوري، في كافة المجالات الوظيفية، والمهنية، والعلمية عدا أمور تخص الانتخاب والترشيح لعضوية مجلس الشعب، مع الاحتفاظ بالجنسية الفلسطينية، لكن في مقابل ذلك يحق للاجئ الفلسطيني الانتخاب والترشيح في كافة الاتحادات والنقابات في سوريا.

⁴ - الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب في سوريا <http://www.gapar.sy/ar/index.html>

⁵ - تمتع اللاجئون الفلسطينيون الذين يستفيدون من القانون 260 بالحق في العمل، والتدرج الوظيفي إلى أعلى الدرجات في السلم الوظيفي وهكذا كان وضع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا أفضل بكثير من إخوانهم في مخيمات اللجوء في الدول الأخرى المجاورة.

بعضها نتاج طبيعي لتمازج اللاجئين الفلسطينيين مع المجتمع السوري،
وأخرى ارتبطت بسياسات وتوجهات كل من النظام والمعارضة.
تعالج هذه الدراسة، سياسات النظام السوري الحاكم ومعارضته تجاه
اللاجئين الفلسطينيين في سوريا منذ اندلاع الثورة، وما مثله الخطاب من
مكون مركزي في هذه السياسات، وذلك في مسعى لتقديم قراءة لسياقات
هذه السياسات وآثارها على اللاجئين الفلسطينيين.

المبحث الأول: النظام السوري وموقفه من اللاجئين الفلسطينيين

لعل أبرز ما يميز سلوك نظام البعث الحاكم في سوريا منذ سيطرته على الحكم عام 1963 تجاه الفلسطينيين بشكل عام، هو سعيه للعب سياسات نشطة ومؤثرة في الحيز الفلسطيني، سواء فيما يتعلق باللاجئين الفلسطينيين على أراضيه أو على مستوى الحالة السياسية والفصائلية الفلسطينية، وفي إطار هذه الممارسة تدخل الحكم السوري في صراعات التمثيل الفلسطيني الذي حاول حيازته والتأثير فيه بشكل مباشر أو من خلال القوى المحسوبة عليه والمتحالفة معه، بما في ذلك دعمه لانشقاقات طالت بعض فصائل الثورة الفلسطينية⁶، ثم استضافته لقيادة حركتي حماس والجهاد الإسلامي على أراضيه بجانب فصائل أخرى معارضة اتخذت من سوريا مقراً لها منذ زمن بعيد.

و بالوصول لمطلع عام 2011 عندما انطلقت شرارة الثورة السورية، ومع انتقالها للفعل المسلح إثر مجابقتها بالقمع الدموي من قبل النظام،

⁶ - تاريخ نظام الأسد في التآمر على الفلسطينيين / أحمد العبد الله : 2018/08/13

<https://mena-studies.org/ar/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A2%D9%85%D8%B1-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A/>

اختار النظام استهداف الفلسطينيين كجزء من المكون والنسيج الاجتماعي السوري، وذلك عبر مسارين أساسيين، تمثل الأول في مدّ مساحة القمع الموجه ضد السوريين ليطاول اللاجئين الفلسطينيين أيضاً، أما الثاني فتمثل في الضغط على الفصائل الفلسطينية وملاحقة وحظر بعضها بفعل موقفها من الثورة.

وفي إطار هذه السياسة قام النظام، بحظر حركة المقاومة الإسلامية حماس في سوريا لموقفها المنحاز لجانب الحراك والثورة السورية.

وكد فعل اتجاهها قام النظام برفع مكانة مكتب ممثلة منظمة التحرير الفلسطينية و تحويله لسفارة لـ "دولة فلسطين" تديرها السلطة الفلسطينية - التي لم يعترف بها منذ توقيع منظمة التحرير الفلسطينية الذي انبثقت عنه السلطة-، وفتح قنوات اتصال مع السلطة وحركة فتح، وأعاد بعض الممتلكات التي كانت محجوزة أو التي استولى عليها المنشقون عن الحركة المواليون لنظام البعث السوري، والمعروفين بـ "فتح الانتفاضة" وكل ذلك نكاية بحركة حماس التي سلكت خطأً سياسياً يتعارض مع السلطة الفلسطينية فيما بات يعرف بالانقسام الفلسطيني.

وفي خط موازي تحرك سلوك النظام على قاعدة شيطنة اللاجئ الفلسطيني، في وقت مبكر من عمر الثورة السورية، فقد صرحت بثينة شعبان (تشغل منصب نائبة رئيس) يوم السبت الواقع بتاريخ 2011/03/26 للصحفيين موجهة أصابع الاتهام إلى لاجئين فلسطينيين بالتورط في أحداث وقعت في مدينة اللاذقية في مظاهرات يوم الجمعة⁷، ناهيك عما أدلت به أيضاً لقناة الميادين في تاريخ 2013/06/07 حول المطالب الأمريكية التي حملها وزير الخارجية كولن بول لبشار الأسد بعد احتلال العراق عام 2003 والتي تتطرق في بعض بنودها لوجود اللاجئين الفلسطينيين في سوريا بشكل خاص حيث طالب بإغلاق مكاتب المقاومة الفلسطينية، وترحيلهم⁸، وهو ما لم يكشف في حينه للإعلام.

وعلى مدى الخط الزمني للأزمة، طوّر النظام مواقف جديدة من اللاجئين الفلسطينيين، تشكلت في ضوء مقارنة مستحدثة لإجمالي القضية الفلسطينية، وكذلك للصراع العربي مع "إسرائيل"، يمكن ملاحظة ملامحها

⁷ - سوريا: 5 قتلى في التظاهرات والحكومة تتهم فلسطينيين بأحداث "اللاذقية" - 2011/03/27

<https://www.addustour.com/articles/388860>

⁸ - قابلة على قناة الميادين لبثينة شعبان بتاريخ 2013/06/07 تاريخ النفاذ 2020/07/09 الساعة 12:15

<https://www.youtube.com/watch?v=Ug0T90QqPmA>

في مجموع الخطوات والإجراءات السياسية كما الخطاب والمواقف المعبرة عن هذه السياسات.

فسرعان ما انعكست تلك التصريحات لقرارات وممارسات مسّت اللاجئين الفلسطينيين في سوريا فتم إلغاء القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي واستبدالها بمجلس قومي استشاري, علماً أن القيادة القومية كانت تنادي بأن فلسطين قضية العرب المركزية, حيث صرحت صحيفة البعث السورية الناطقة باسم حزب البعث العربي الاشتراكي بما يلي : "يجب احترام خصوصية كل حزب بعثي واستقلالته مع الحفاظ على المنطلقات القومية العامة لنظرية البعث". وأضافت: "في هذا الاتجاه يعمل الحزب حالياً على الجمع بين أمرين بيدوان متناقضين على الرغم من أنهما ليسا كذلك: الالتزام بالدستور السوري وقانون الأحزاب الذي يؤكد الاستقلالية التنظيمية القطرية للأحزاب، والثاني نص دستوري يقول إن الشعب العربي السوري جزء من الأمة العربية ... هذا العمل لا بد وأن يكون قومياً لأن الجزء مجرد مكون في الكل". الخ⁹ , وهو ما حله مراقبون لانكفاء حزب البعث للنضال داخل القطر وقوفاً عند مطالب بعض الدول الغربية.

⁹ - حلّ القيادة القومية للبعث.. واستبدالها بـ"مجلس قومي" موقع المدن الاثنين 15/05/2017 تاريخ النفاذ 2020/07/09

الساعة 12:30 - <https://www.almodon.com/arabworld/2017/5/15/%D8%AD%D9%84->

وتم أيضاً تهميش اللاجئين الفلسطينيين في سوريا من البعثات الدراسية ومن التوظيف في بعض المجالات وبالخصوص الإعلام وذلك بإلغاء عبارة ومن في حكم السوريين التي لطالما اعتادوا عليها للإشارة لهم , ويجب أن لا ننسى بأن شريحة لا بأس بها من الموالين لنظام البعث في سوريا باتوا ينظرون للاجئين الفلسطينيين نظرة عدااء على قاعدة أنهم داعمون للمعارضة أو أنهم إخوان مسلمون وحماس.

وفي الحالة العامة والأشمل قام النظام وفق عقليته الأمنية والعسكرية، بوضع معظم مكونات مجتمع اللجوء الفلسطيني، بين خيار العمل كخزان بشري للتجنيد العسكري لمصلحته، أو التهجير والقمع، وهو ما قاد لتهجير غالبية اللاجئين الفلسطينيين في سوريا من مخيماتهم وأماكن سكنهم وتدمير مساحة أساسية من هذه المخيمات.

ولعل أبرز هذه الانعكاسات ظهرت في الاستهداف والتدمير الممنهج للمخيمات الفلسطينية، وآخرها صدور قرار "المخطط التنظيمي لجنوب

[%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9-](#)

[%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%AD%D8%B2%D8%A8-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B9%D8%AB-](#)

[%D9%88%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7-](#)

[%D8%A8%D9%80-%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3-%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A](#)

دمشق" الذي يقوم على نفس مخيم اليرموك من الوجود، علماً أنه يشكل عاصمة الشتات الفلسطيني وله دلالة سياسية ووطنية، وينظر إليه كمكون رئيسي لهوية اللاجئين الفلسطينيين.

ما سبق يشير لسياسة ممنهجة تستهدف الوجود الفلسطيني في سوريا، عبر التضييق عليه لدفعه باتجاه الهجرة، أو لمحو وطمس الهوية الوطنية النضالية الجامعة للفلسطينيين ألا وهي المخيم، من خلال تشتيته ككتلة اجتماعية تعيش داخل المدن والبلدات والقرى والأحياء السكنية السورية، وفي هذا الصدد يشير تقرير لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "أونروا" إلى 254 ألفاً، أي ما يعادل 58% من اللاجئين الفلسطينيين تحولوا لنازحين داخل سوريا.

يأتي هذا إلى جانب تحولات في خطاب وسلوك النظام تجاه "إسرائيل" وقضية الصراع معها، والذي تم إعادة تعريفه باعتباره رداً على الضغوط التي يعانها النظام، في إطار عبر عنه رجل الأعمال رامي مخلوف ابن خال بشار الأسد وذراعه الاقتصادية داخل سوريا في مقابلة نشرتها يوم الأربعاء 2011/05/11 صحيفة "نيويورك تايمز"، قال فيها: إن النظام السوري

"لن يستسلم بسهولة و"سيقاتل حتى النهاية"¹⁰, و "لن يكون هناك استقرار في إسرائيل اذا لم يكن هناك استقرار في سوريا".¹¹

¹⁰ - رامي مخلوف ابن خال الأسد : "لن يكون هناك استقرار في إسرائيل إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا" 2011/05/11
<https://www.france24.com/ar/20110511-syria-assad-regime-sanctions-rami-makhlouf-new-york-times-interview>

¹¹ - رامي مخلوف لا استقرار في اسرائيل بدون استقرار في سوريا - <https://www.youtube.com/watch?v=Gm7d0E-Xm6E&feature=youtu.be>

المبحث الثاني: المعارضة السورية وموقفها من اللاجئين الفلسطينيين

لقد حكم الموقف الشعبي العام للاجئين الفلسطينيين في سوريا التعاطف مع المطالب التي رفعها الشعب السوري والدليل على ذلك تحول المخيمات الفلسطينية إلى ملاذ آمن للهاربين من دائرة العنف الطاحنة¹² حيث نظر لهم الشارع السوري المنتفض كجزء أصيل من المكونات الاجتماعية للبلاد، إلا أنه ونتيجة لعوامل عدة، لم يمضِ وقت طويل، حتى باتت هذه المخيمات نفسها، جزءاً من ساحة الحرب المفتوحة في ظل عدم احترام الأطراف المشاركة في النزاع المسلح خصوصية اللاجئين الفلسطينيين ومخيماتهم، ودلالاتها، وتوجه معظم الأطراف العسكرية لتجاوز تلك الحقوق الممنوحة للمدنيين في وقت الحروب والصراعات.

وفي هذا المقام نفرق بين نظرة الشارع السوري المنتفض وفق ما تم تبيانه سابقاً وبين موقف القوى السياسية في المعارضة السورية من اللاجئين الفلسطينيين، وهنا نجد أن القوى ذات الفكر الإسلامي نظرت لهم باعتبارهم مسلمين وأنهم جزء من الأمة الإسلامية و"عليهم أن يدافعوا عن الأمة لأن ما يقع على الأمة من ظلم النظام وغيره من قوى الشر في العالم تستهدف

¹² - انظر مخيم اليرموك يستقبل اللاجئين <http://www.yarmouk.net>

الإسلام ومن لا يدافع عن الأمة فهو كافر وبحكم المرتد" وهذه نظرة قاصرة لا تحاكي الوضع والواقع الحالي وتحمل نظرة ظلامية رجعية متخلفة.

وفي جانب آخر نرصد تصرّيحاً للمعارض جورج صبرا رئيس «المجلس الوطني السوري» آنذاك، "بأنّ من حق الجماعات المسلحة الدخول إلى مخيم اليرموك لأنها أرض سورية، وليس من حق أحد أن يمنعنا، وهذا ضروري من أجل التقدم نحو مدينة دمشق"، وناهيك عن التصريحات العنصرية التي أطلقتها بعض الشخصيات والتي تهاجم اللاجئين الفلسطينيين في سوريا بشكل مباشر أو غير مباشر كالزيارات التي قام بها بعض شخصيات المعارضة لكيان الاحتلال الإسرائيلي، مثل كمال اللبواني وبسمة قضماني¹³، أما المثقف السوري المعارض علي فرزات فقد تناول اللاجئين الفلسطينيين على صفحته¹⁴ ناشراً عدة بوستات تهاجمهم حيث لاقت هذه المنشورات انتقاداً واسعاً بين أوساط المثقفين والناشطين، ولعل أبرزها ما

¹³ - أعز أصدقائي خونوني عندما ذهبت إلى أميركا كمال اللبواني يدافع عن زيارته لإسرائيل موقع إيلاف يوم السبت 04 أكتوبر 2014 تاريخ النفاذ 2020/07/09 الساعة 12:45 <https://elaph.com/Web/News/2014/10/946439.html>

¹⁴ - صفحة الفنان علي فرزات على الفيسبوك تاريخ النفاذ 2020/06/24 الساعة 17:00 <https://www.facebook.com/ali.frzat>

نشره بتاريخ 2020/01/29 حيث ادّعى "أن الفلسطينيين كلهم شبيحة مع النظام يقومون بقتل الشعب السوري".

إلا أن الأخطر في خطاب المعارضة، هو البرنامج السياسي الذي يتناول اللاجئين الفلسطينيين في سوريا بوضوح، وقدمه "حزب مجموعة الإنقاذ الوطني" برئاسة فهد المصري.

فمن خلال ما يسمى "مشروع الإنقاذ الوطني في سوريا" وجه رسالة مفتوحة للعدو الصهيوني عام 2016، تتضمن "خطة طريق للسلام السوري- الإسرائيلي"، وأيضاً شارك بتاريخ 2017/01/17 بدعوة من معهد ترومان والجامعة العبرية في مؤتمر بمدينة القدس المحتلة، قدم فيه المنسق العام "لجبهة الإنقاذ الوطني"، فهد المصري خطته قائلاً: "مشكلتنا مع إسرائيل تنحصر فقط في الجولان السوري ومزارع شبعا وهذه القضية يمكن حلها والوصول لحلول ترضي كلا الشعبين السوري والإسرائيلي، وعليه يجب أن نركز على ضرورة فك المسار السوري عن المسار الفلسطيني، الفلسطينيون تفاوضوا مع إسرائيل ووصلوا لاتفاقات معها، واعترفوا بها وبحدودها ومازالت العملية السياسية مستمرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وأصبح للفلسطينيين سلطة وكيان معترف به دولياً، وبات لزاماً اليوم

ولمساعدة الفلسطينيين بشكل عقلاي بعيداً عن العواطف والشعارات وعقلية الإبتجار بالمسألة الفلسطينية التي اعتمدت عليها نظم الاستبداد العربية والإسلامية، أن نتعامل فقط مع السلطة التي تمثل الشعب الفلسطيني المعترف بها دولياً، وتفكيك كافة التنظيمات المسلحة والسياسية الموجودة على الأراضي السورية (يقصد الأحزاب والفصائل الفلسطينية)، وإلغاء المخيمات وتحويلها لأحياء سكنية مدنية، وتجنيس كل من لم يحمل السلاح بوجه الشعب السوري ممن تبقى من اللاجئين الفلسطينيين في سورية بالجنسية السورية، ومحاسبة كل من أجرم منهم بحق الشعب السوري ثم طرده من سورية، ونحن ندعو الدول العربية والإقليمية لتجنيس اللاجئين الفلسطينيين لديها لتتوقف القوى السياسية الفلسطينية عن بيع الوهم للفلسطينيين في الشتات."

وأضاف المصري: "مشكلة الانقسام بين الفلسطينيين، نحن غير معنيين بها نحن جهودنا تتركز على إنقاذ سورية والشعب السوري، فالقضية السورية أصبحت أهم بآلاف المرات من المشكلة الفلسطينية، ونحن ما يهمنا أيضاً التنمية وبناء الإنسان السوري وإخراج سورية من الجامعة العربية التي تمثل رمز تخلف الدول العربية، نحن نريد عقد تحالفات إقليمية ودولية وفقاً لما تقتضيه المصالح الاستراتيجية للشعب السوري وسورية تقع بين دولتين

إقليميتين مهمتين هما تركيا وإسرائيل وبالتالي يجب أن يكون هناك علاقات استراتيجية متميزة ما بين الدولتين¹⁵.

بعد هذا العرض ووفق الظروف التي عاشها السوريون والفلسطينيون معاً لفترة لا بأس بها من عمر الحرب، وحسبما تشير معظم المتابعات لشواهد الصراع نلتمس أن المناخ الشعبي السوري العام لم ينظر للاجئين الفلسطينيين في سوريا بعين العدا، إلا أن بعض القوى المتصارعة على طرفي النزاع راحت تبث سمومها من خلال بيانات وتصريحات وبعض الممارسات من قبل أعضائها أو أنصارها وهو ما لا يمكن تعميمه وخلطه مع المناخ الشعبي العام، فبعض المخيمات حافظت على خصوصيتها، ولم يتم استباحتها من قبل المعارضة، وذلك يسجل للدور الإيجابي الذي لعبته بعض الشخصيات والقوى في هذه المخيمات، من خلال اتباع سياسة ترسيخ خصوصية المخيم لدى قوى المعارضة المنتشرة في محيطه، في وقت شكلت فيه ذات المخيمات حاضنة شعبية للنازحين السوريين من القرى

¹⁵ - فهد المصري / رسالة مفتوحة للشعب الاسرائيلي وجهتها جبة الانقاذ الوطني في سوريا عام 2016 , تاريخ النفاذ

15:30 الساعة 2020/06/24

https://www.youtube.com/watch?v=vULt4_nnro&t=89s&fbclid=IwAR3bwZFaab8Smmspl9UkydusdCxwkS58

[g96vUaFqT6qSTELPPNf1jgulvOo&app=desktop](https://www.youtube.com/watch?v=vULt4_nnro&t=89s&fbclid=IwAR3bwZFaab8Smmspl9UkydusdCxwkS58)

والبلدات المجاورة، ومخيم خان الشيخ الذي يقع جنوب غرب دمشق بـ 20 كم أبرز مثال على ذلك.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا الفارق بين خطاب الشارع السوري المنتفض وخطاب القيادة والمكونات السياسية للمعارضة، التي راح بعضها يتهم الكل الفلسطيني بالتشبيح والتحالف مع النظام والشراكة القتالية معه في الجرائم ضد السوريين، وتعدد المفاضلات بين الموقف من القضية الفلسطينية العربية العادلة ومن "إسرائيل" الكيان المعتدي العنصري الذي قتل آلاف من السوريين ولا زال يفعل، وآخرها بيان ما سمي "الحكومة السورية في المنفى" الذي اتخذ موقف التملق والمظاهرة للكيان الصهيوني ضد الوجود الإنساني الفلسطيني والعربي في هذه الأرض منذ آلاف السنين.

كما تظهر على نحو واضح أنماط مختلفة من الدعاية ضد القضية الفلسطينية، واللاجئ الفلسطيني، مارستها جهات رسمية وغير رسمية في كنف هذه المعارضة وقيادتها السياسية، أبرزها الهجوم المتكرر على المقاومة الفلسطينية، وعقد المقارنات الجائرة والمضرة حول أحقية وأولوية الدفاع عن الدم المسفوك، في سورية أو في فلسطين، ناهيك عن طرح مقارنات بين سجون الاحتلال وسجون النظام السوري، وفي جميع هذه المداخلات، كان

الاتجاه واحد وهو ضرورة تغيير موقف السوريين من الفلسطيني وقضيته ووجود اللاجئين الفلسطيني في سوريا.

فبرز لديهم الترويج لإدانة الفلسطيني ومهاجمته بصفته حليفاً لإيران على خلفية بعض المواقف السياسية التي تشيد بـ "الدعم الإيراني للمقاومة الفلسطينية"، مما قاد لبروز خطاب الانكفاء إلى المصلحة السورية فقط، وما يبيده ذلك من استعداد للتخلي عن القضايا العربية وخصوصاً قضية فلسطين، من حيث إبداء الاستعداد للتعاون أو التسوية أو التنسيق مع "إسرائيل" بشأن وضع سوريا ومستقبلها، في تجاهل للدور الذي لعبته وتلعبه "إسرائيل" منذ تأسيسها ضد كامل مكونات المنطقة، واستمرار احتلالها لأجزاء من الأرض السورية منذ عام ١٩٦٧، ناهيك عن استمرار عدوانها متعدد الأشكال على سوريا.

وبالرغم من سوداوية المشهد إلا أن الأمل بنضالية و كفاحية الشعب السوري عالية حيث حافظ هذا الشعب على مواقفه الداعمة والمناصرة للحق الفلسطيني وسيكون قادراً على تجاوز محنته، وإفراز قوى وشخصيات تقوده لتحقيق أهدافه في الحرية والعدالة التي لا تنفصل بالمطلق عن الحرية والعدالة في فلسطين.

المبحث الثالث: انعكاسات الصراع بين المعارضة والنظام على اللاجئين الفلسطينيين في سوريا

لم تلتزم بعض القوى السياسية الفلسطينية بالموقف الشعبي العام لمجتمع اللاجئين الفلسطينيين في سوريا بعدم التدخل في الشؤون الداخلية والصراعات للدول المضيفة، فانحازت بعض القوى للدفاع عن النظام السوري وأخرى انحازت لجانب الشعب السوري والمعارضة، وإن لم تكن هذه الاصطفافات السياسية والخطابية بالمقام الأساس ذات انعكاس كبير ميدانياً، لكن كلاً من النظام والمعارضة سعى لاستخدامها كمادة في سياق خطاب للتحريض ضد الفلسطينيين، وسياسات متنامية تميل لاستيعاب المتطلبات والسلوك والوجود الإسرائيلي وتدخلاته في الساحة السورية. هذا الاتجاه ساهم في خلق مناخ سوري يعمم بأن كل اللاجئين الفلسطينيين شبيحة¹⁶، فيما البعض الآخر الموالي للنظام يطلق عليهم إخوان مسلمون ومعارضة.

¹⁶- شبيحة: مصطلح أطلقه السوريون على من كان النظام السوري يستعين بهم لقمع المظاهرات المناهضة له، ثم جرى تعميمه على مؤيدي النظام.

وما فاقم سوء ماتعرض له اللاجئون الفلسطينيون، التقصير الكبير، والانتهازية المسيطرة التي تعاملت بها منظمة التحرير الفلسطينية وعدد من الفصائل الفلسطينية، إذ أدارت سياساتها ومواقفها تبعاً لاعتبارات التقرب لطرفي الصراع، وخصوصاً النظام، وهو ما زاد من تغول كل من النظام والمعارضة على جموع الفلسطينيين في سوريا الذين افتقدوا لأي إسناد رسمي، واقتصر دعمهم معنوياً وسياسياً على الإسناد الشعبي السوري والفلسطيني.

في ضوء غياب الرؤية الوطنية، وانحسار الدور الفصائلي في عدد من المخيمات، برز دور مؤسسات المجتمع المدني الـ NGOS بمختلف توجهاتها، والتي تحركت وفقاً للميول الذاتية للقائمين عليها أو باعتبارات وحسابات مموليها في كثير من الأحيان¹⁷، ومع اشتداد الصراع مُورسَ تدمير وتهجير قسري وممنهج وشامل طال غالبية المخيمات الفلسطينية في سوريا خدمةً لأهداف صهيونية، لم تهدأ يوماً عن العمل للقضاء عليهم وطمس معالم هويتهم الوطنية، ألا وهي المخيم وإن كانت بأجندات محلية نفذتها جماعات وميليشيات وقوات تابعة لطرفي الصراع.¹⁸

¹⁷ - مجموعة العمل من أجل فلسطيني سورية <https://www.actionpal.org.uk/ar/>

¹⁸ - فيروس كورونا المستجد وأثاره الاقتصادية والاجتماعية على اللاجئين الفلسطينيين في سوريا / عزت ابراهيم , بوابة اللاجئين الفلسطينيين : 09 مايو 2020 تاريخ النفاذ 2020/07/09 الساعة 16:30

اليوم وبعد دخول الصراع عامه العاشر تشير التقارير إلى أن غياب الحماية جعلت من اللاجئين الفلسطينيين هدفاً دائماً للانتهاكات في مجمل الصراعات التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط, فحسب تقديرات الأونروا لعام 2020، فإن 438 ألف لاجئ فلسطيني في سوريا, منهم 254 ألف أي 58% نازحون داخل سوريا, ومنهم 56600 أي 13% عالقون في مواقع يصعب الوصول إليها, و 418 ألف أي قرابة 95% منهم يفتقرون للأمن الغذائي, و 93% يصنفون كضعفاء أو ضعفاء للغاية, 47% منهم يعيشون داخل المخيمات, 31% من الأسر تعيلها امرأة, 100% بحاجة لمساعدة ماسة وعاجلة للتأهب لفصل الشتاء.¹⁹, فبسبب الحرب ارتفعت معدلات البطالة بين صفوف اللاجئين الفلسطينيين في سوريا لتصل لنسبة غير مسبوقة بلغت حسب تقديرات وإحصاءات الأونروا 52.2% من مجموع القوة العاملة لدى اللاجئين الفلسطينيين في سوريا.

<http://refugeesps.net/ckfinder/userfiles/files/%D9%81%D9%8A%D8%B1%D9%88%D8%B3%20%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%86%D8%A7%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%AC%D8%AF%20COVID-19.pdf>

¹⁹ - النداء الطارئ لسنة 2018 بشأن أزمة سوريا الإقليمية

https://www.unrwa.org/sites/default/files/content/resources/2018_syria_ea_fact_sheet_hd_ar.pdf

أدى النزاع السوري إلى كارثة حقيقية بحق اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، وهذا له انعكاسات خطيرة على مستقبل القضية الفلسطينية، فحسب إحصائيات وثقتها المنظمات الأهلية والمدنية، بينها ما نشره بوابة اللاجئين الفلسطينيين²⁰ مطلع عام 2020 من تقارير توثق سقوط (4048) ضحية من اللاجئين الفلسطينيين السوريين في حين تجاوز عدد المعتقلين الفلسطينيين السوريين (1797) معتقلاً وبلغ عدد المفقودين (333) جميعهم تم إخفاءهم قسرياً في ظل تكتم شديد عن مكان اعتقالهم أو مصائرهم، وتعرضت العشرات من اللاجئين الفلسطينيين إلى الاغتصاب.

أما حركة اللجوء قسراً لخارج حدود سوريا فقد قاربت من 175000 لاجئ فلسطيني موزعين على دول الجوار السوري وأوروبا وباقي دول العالم، وفق ما يلي: (لبنان 29000، الأردن 18000، مصر 3500، السودان 500، فلسطين غزة 400، تركيا 10000، تايلند 250، دول أوروبا 110000، باقي دول العالم 2000).²¹

²⁰ - بوابة اللاجئين الفلسطينيين / <https://refugeesps.net/>

²¹ - فلسطينيو سوريا ضحايا الدمار وإعادة الإعمار، التقرير الميداني السنوي حول أوضاع فلسطيني سوريا 2019 / تحرير: إبراهيم العلي، تدقيق: علاء الدين نمر، إعداد: أحمد حسين، إبراهيم العلي، فايز أبو عيد، محمد الباش: مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا <https://www.actionpal.org.uk/ar/pdf/victimsofdestruction.pdf>

وفيما يتعلق بحجم الدمار الذي لحق بمخيماتهم ففي مخيم اليرموك مثلاً الذي يعتبر عاصمة الشتات الفلسطيني بين المسح الميداني خروج نحو 20 % من مساحة المخيم من الاستخدام بسبب انهيار الأبنية، وهناك إمكانية للاستفادة من نحو 40 % من الأبنية بقصد إعادة السكان، بينما تضررت ما نسبته 40 % أخرى بدرجات متفاوتة²²، ناهيك عن الدمار الذي تعرض له مخيم درعا وخان الشيخ وسبينة وغيرها من المخيمات والتجمعات الفلسطينية.

المؤشرات والأرقام السابقة تقودنا إلى تناقص أعداد اللاجئين الفلسطينيين في سوريا وإلى حجم التحديات التي تواجههم بسبب ما خلفته الحرب من ويلات على مختلف المستويات فالنزوح، الهجرة، التهجير القسري، سياسية الاعتقال والتصفية التي تعرضت لها شريحة كبيرة من الكفاءات البشرية لدى اللاجئين الفلسطينيين في سوريا أدت لانخفاض خطير في الرأسمال البشري، مما أثر سلباً على جميع المجالات، بالإضافة لانتشار المحسوبيات والاستقواء بالأفرع الأمنية والقوى التابعة لطرفي الصراع، كل تلك الأسباب وغيرها خلف أزمة بنيوية داخل الكينونة الفلسطينية التي تشكل ماهية المخيم، مما

²² - مخيم اليرموك ماذا وراء المخطط التنظيمي الجديد؟ / الباحث ابراهيم العلي، مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا.

<https://www.actionpal.org.uk/ar/pdf/yarmoukreconstruction.pdf>

دفع الكفاءات الشابة في صفوف اللاجئين الفلسطينيين للجزوف عن العمل بالشأن العام.

لم تكن هذه الكارثة والمأساة التي حلت باللاجئين الفلسطينيين²³ في سوريا بسبب الحرب وما تعانيه المخيمات والتجمعات التي يعيشون بها من نقص في الإمكانيات والموارد وغياب الحماية لهم معزولة ومفصولة عن التصريحات والمواقف التي تشيطن اللاجئين الفلسطينيين، وفق ما تم رصده فيما سبق والتي أطلقها طرفا الصراع المعارضة والنظام بحقهم فهي كانت تحمل في طياتها الكثير من الدلالات والمعاني والمؤشرات التي تكاد تحدد ملامح المستقبل الغامض والمخيف الذي ينتظر وجودهم في سوريا بشكل خاص، حيث نخلص بعد هذا العرض حول خطاب وسياسات النظام والمعارضة إلى أن كلا الطرفين مارس بشكل ممنهج التحريض على اللاجئين الفلسطينيين في سوريا على نحو شبه ثابت، بجانب التجاوزات الميدانية والانتهاكات والقمع والتدمير والقتل، وهو سياق وإن كانت حصة النظام فيه أكبر بحكم مسؤولياته السيادية، فإن المؤكد أن المعارضة لم تبذل أي جهود تذكر لوقف التحريض على اللاجئين الفلسطينيين، أو توفير الحماية لهم في مناطق سيطرتها، أو تجنيبهم مخاطر الصراع في مناطق القتال، ناهيك عن تبعات

مواقف كلا الطرفين من القضية الفلسطينية والصراع مع اسرائيل وأثر ذلك
على حقوق الشعبين الفلسطيني والسوري.

الخاتمة

خلصت الدراسة أنه في ظل ظروف الصراع السوري منذ اندلاع الثورة، دأبت أطراف الصراع على انتهاج سياسات تستهدف اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، لاعتبارات عدة تتجاوز تلك التي تتعلق بوقائع الصراع المباشرة وسعي هذه الأطراف لتحقيق مكاسب ميدانية، بل ظهر هذا الاستهداف في محطات عدة مرتبطاً بسعي هذه الأطراف للتماهي مع أجندات دولية وأخرى اقليمية، تسعى لتصفية ملف اللاجئين الفلسطينيين، من خلال تعزيز العوامل الطاردة في الدول المستضيفة لهم في المنطقة، والضغط عليهم من خلال استعداد البيئات السياسية والاجتماعية ضدهم بهدف تهجيرهم وتفكيك وتدمير مخيماتهم التي تشكل حاضنة وجودهم.

في إطار هذه السياسات جرى ضخ خطاب إدانة للاجئ الفلسطيني في سوريا و للفلسطيني عموماً، فيما جرى تقديم خطاب مرن بيدي استعداده للتفاوض او لعلاقات كاملة مع إسرائيل، وهو ما يعطي مؤشر واضح على وجهة ومقاصد هذه السياسات، بوصفها انحياز سياسي و ازاحات في

المواقف السياسية وليس تفاعل مع دور معين للفلسطيني في سوريا او حوادث ميدانية قد تورطت فيها مكونات او عناصر فلسطينية

في المستوى الأدنى من المركبات السياسية الرئيسية (قيادة النظام وقيادة المعارضة)، كان لغالبية القوى والفصائل ومنظمات NGOs المحلية والإقليمية والدولية التي نشطت في مناطق المعارضة والنظام أو بينهما إسهام في الانقراض على مجتمعات اللاجئين الفلسطينيين، فتركز جزء من عملها وتمويلها على تقديم معلومات ومعطياتها عن واقع وحال المجتمع السوري والفلسطيني هذه المعلومات كانت تصب لصالح جهات استخبارية وبخفية تنشط لصالح دول تبحث عن مصالحها في سوريا والمنطقة، مما ساعدها على اتخاذ قراراتها ورسم سياساتها، و ساعد الكيان الصهيوني في رسم خطواته لاستهداف اللاجئين الفلسطينيين في سوريا.

وعليه سعت الدراسة للكشف عن موقف وسلوك النظام والقوى الداعمة له وأيضاً موقف سلوك المعارضة والقوى التي تمثلها من اللاجئين الفلسطينيين في سوريا وما تعرضوا له خلال الفترة آذار 2011 وحتى حزيران 2020.

التبعات المترتبة على هذه المواقف من النظام ومعارضته، لم تفلح في إحداث تغيير جذري أو كبير في مواقف الجمهور السوري من القضية

الفلسطينية، أو الصراع مع إسرائيل، أو اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، ولكنها بالأساس خدمت عملية تبرير الجرائم بحق اللاجئين الفلسطينيين من هذه الأطراف، وتنصب بالأساس كأداة تقارب مع أطراف الحملة الممنهجة الهادفة لتصفية ملف اللاجئين الفلسطينيين، والتي تقودها الولايات المتحدة لمصلحة الاحتلال الإسرائيلي.

توصيات

- من المؤكد أن أزمة غياب الحماية للمدنيين واللاجئين الفلسطينيين بشكل عام وفي سوريا بشكل خاص تستدعي حلاً وتعاوناً دولياً بدعم إقليمي ومحلي، وعلى جميع دول المنطقة العمل والتنسيق والتعاون مع المجتمع الدولي للمساهمة في تحمل عبء نجدة المدنيين واللاجئين الفلسطينيين في سوريا، وتأمين الحماية لهم، وبالذفع من أجل عودة هؤلاء اللاجئين إلى ديارهم التي هجروا منها من جهة أخرى.

- ما سبق اجمالاً لا يعفي الجهات الفلسطينية من واجباتها، والمتعلقة باتخاذ المواقف الضرورية للدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، تجاه السلطة الحاكمة أولاً، كما تجاه المعارضة والقوى السياسية، بما يعنيه ذلك تجاوز حالة التخادم المتبادل مع هذه الأطراف بما يضر بمصالح اللاجئين الفلسطينيين وكذلك حقوق عموم الشعب السوري.

- الحذر من محاولات أطراف عدة تأطير الهجوم على اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، والمؤسسات والفصائل الفلسطينية النابتة من بيئة هؤلاء اللاجئين، في خدمة "قانون قيصر" الهادف لتجويع وتركيح عموم الشعب السوري، والمواجهة الواضحة مع هذا المسعى الذي يهدف أيضاً لمدمر مساحة "قانون قيصر" العقابية ليطل أطراف فلسطينية عدة، ناهيك عن ما ألحقته العقوبات المرتبطة بالقانون المذكور من أضرار كارثية باللاجئين الفلسطينيين في سوريا.

- مواجهة محاولات حرف الموقف القومي والوطني والإنساني للشعب السوري من القضية الفلسطينية وقضية الصراع مع "إسرائيل"، والتي تسعى لفتح سوريا أمام الهيمنة الإسرائيلية والاستعمارية، بجانب استهدافها لحقوق الشعب الفلسطيني.

- ضرورة تحديد أهداف العمل الفلسطيني، للجهات السياسية والحقوقية والأهلية، وأبرزها الكشف عن مصير المفقودين وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وحماية مناطق ومجتمعات اللاجئين المهتدة، وكل هذا لا بد أن يكون على قاعدة الحفاظ على المكتسبات القانونية والحقوقية التي نظمت وجود الفلسطينيين في سوريا سابقاً

- ضرورة الوضوح مع الجهات السورية كافة، وخصوصاً المنادية بحقوق الشعب السوري، بأن الانقضاء المتكرر على اللاجئين الفلسطينيين والقضية الفلسطينية، هو انحياز لمعسكر القتل، وأن الموقف من قضية فلسطين لا يمكن أن يكون رهينة التلاقي أو الاختلاف السياسي مع أي من القوى الفلسطينية، أو مع عموم هذه القوى.